إعادة التعريف موضوعيا مع التركيز على الخلافات الفكرية

حسين السركانى*

الخلاصة

المقال الذى تلقون نظرة عليه، هو مجهود لتعريف لون من ألوان التحرير الذى نسميه بعملية التحرير. و الكلام أن الطلبة فى مجال العلوم و الأفكار البشرية دوما، يسعون وراء تحرير ما يتعلمون.

ما بقى من السلف فى هذا المجال هو ما سمى بالتقرير الذى هو للأطفال لون غامض من ألوان التحرير و التقرير. المبتدئون الذين هم فى بداية طريق التعلم و ما تعلموا التفكير و تمييز المسائل المختلفة و ترتيب هيئة الأبحاث العلمية. و لا يُعتب عليهم و عملية التعلم فى الحوزات العلمية لا يتحصل منها أفضل مما نراه. يسرنى أن أنتقد تلك العملية التى لا تنجب إلا استنزاف الأرواح البشرية التى ترى العلم و الفكرة كالعشيقة و أشير:

ما يوجد الآن ليس إلا ارضية للتعلم و ما يتولد منها ما نبع من ينبوع عام فى مجموعة علمية واثقة بنفسها بل أثمار نتجت من جهود شخصية. و الأمر المغفولعنه و

* الطالب فى المرحلة السادسة بمدرسة الشهيدين (ره)

هو بالغ الأهمية يؤدى إلى أن يفشل التيار العلمى الحالى و نحن ساكنون فيه و نتفس فى راحة و نسعد بلبس العمامة و غافلون سائرون فى أمن و أمان نحو اللامكان. و يشعر المرء بجانب أن التيار الآخر له طعم يختلف عما نتذوقه هنا و لو نخضع و نطيعهم ربما نحصل على الأفضل.

الموجز بين أياديكم هو جهود لتعريف نوع من أنواع التحرير كما أشرت إليه آنفا. يفرحنى لو يعرفه المخاطب و لو لم يعرفه أريد أن يتأمل و ينظر نظرة متعمقة فيه.

هذا ليس إلا إشارة إلى الهيئة و عملية التحرير للشيخ المرحوم المظفر فى تبيين موضوع الملازمات العقلية. و سعينا إلى أن نشير إلى العناصر الأصلية التى لها دور بارز فى مسرحية فكرية و ما أشرنا الى الآخر من الاجزاء و الهوامش.

أطلب من العارفين و غيرهم أن ينتقدوا على قدر استطاعتهم و لا يحرمونى من أفكارهم القيمة. و فى الختام قبل أن أدخل فى صلب الموضوع، أتوجه بالشكر إلى الأستاذ القدوسى (زيد عزه) حيث حثّنى على تقرير هذه الوجيزة.

المدخل

العلم هو سلسلة لا تنفک و لو نظرنا اليه من زاوية واحدة يشبه حبات سبحة بعد أن قضت وقتا طويلا إلى جانب بعضها فأُنتقضت فى لعبة الأطفال.

البحث العلمى هو ليس كما تذهب من جزيرة إلى الأخرى دون أن تنظر إلى ما خلّفت من الأثر بل كالطيران فى سماءه بنظرة بانورامية فلابد أن تغير نظرتک إلى نظرة شمولية بعدما رأيت ما فى أرضه بشكل منفصل لا علاقة تربط بعضم إلى الآخر.

الكلام أنه ما عرفنا من علم الأصول – العلم الكاشف و المقنن الذى له دور فى مجال واسع للتواصلات الكلامية بين البشر و الخالق – فيما سبق أزاح الستار عن الشطر الأول من تلک التواصلات و القوانين الحاكمة و الآن لابد من البحث فى الشطر الآخر من هذا المجال الواسع الظل إلى أن ننفض الغبار عما تعلمنا و ما نجهل.

المقدمة

ليس مجازفة أن يقال أنما المقوم فى التواصلات الكلامية ليس اللفظ و مجاله الواسع بل وليد العقل الذى ليس من اللفظ و موطنه العقل و له وجود ذهنى. كما تعلمناه من الشطر الأول و هو يفتح باب هذا الكلام أمام العارف بالعلم.

إن من أهم القلق و المخاوف ما سمى بالحجة و هى دليل صديق للمحكمة فى محاكم العقلاء.

ما مررنا به فى التحارير السابقة من العلم نلقى خلاله نظرة على شطر سمى بمباحث الألفاظ و فيه يبحث عن نظام يحكم فيه ثم البحث عن الحجية و القوانين و القواعد الحاكمة عليها.

و الآن و هو الكلام فى الآخر من إعادة تعريف التواصلات يسعى المخاطب و السائل و هما يسألان:

١. ما هو المستفاد من غير اللفظ فى هذه التواصلات و نظامها الحاكم عليها ؟

٢. هل المتحصل دليل صديق فى محكمة العقلاء أم لا ؟

المشهد الأول

طرح البحث

ما يطرح من العنوانين السابقين و هما التكريس لما هو موضع الخلاف ثم التقدم فى مجال المسألة و البحث هو لون يكون من المقدمات السابقة فى تقرير وجهة نظر باحثى المسألة و النظرة الأخرى للشيخ المرحوم المظفر.

هذا اللون فيه يأتى تبيين و البحث الأول فيه تحت عنوان «حجية العقل» و دراسته و البحث الثانى، هو تحت عنوان «مصاديق ما يحكم به العقل» .

القسم الاول: طرح مسألة «حجية العقل»

نظن أن الشيخ المرحوم واقف عند خطوة دراسة مسألة الحجية و بتعبير آخر، فی بدء الدراسة، سعی فی تعريف الحجية بالإجمال و أنه ما هو نسعی وراءه و يسمی الحجية.

ما فهمناه من كلامه هو ما نسميه بمنظر المقارنة. مقارنة بين أرضين. أرض تحت أيادی الشارع و الأخری تحت أمر العقل. الدرک و الوجدان و المقارنة، هی ما قبل الحجية و الحجة الحاصلة ثمرة لها. نعنی بأنه فی الخطوة الأولی غضون البحث عن الحجية التی تُنتزع بعد أن ندخل فی الأرضين و اعتراف النظام الحاكم بمنظر المقارنة و وجدان التقارن بينهما.

أما فی هذا الطرح يستفاد من نوعين للتبيين و نحن فی خلاله نشير إلی بعض النقاط لها التأثير فی النظام الحاكم.

۱. تحديد دائرة الفكرة كما أشير إلی مدرسة الإمامية و إعتقادهم فی بدء الأمر.

۲. تذكر وجهی المسألة ثم تعريف المكانة و البحث و دراسة كل منهما يعنی الصغری و الكبری و الصغری هی مصاديق ما يحكم به العقل و الكبری هی حجية ما تحصل من العقل.

۳. تبيين وجهة النظر إلی المباحث الأصولية بما نسميه بمنظر الشطرين، مباحث الألفاظ و الملازمات العقلية.

الأسئلة التی تطرح هنا هی:

۱. ما هو المراد من العقل؟

۲. هل من الصحيح أن للعقل و الشرع واديين يختلفان عن بعضهما؟

۳. هل المقارنة كاشفة عن الحجية أم هی العنصر المولد؟

٤. هل من شأن العقل و الشرع الكشف أم التحكيم؟

القسم الثانی: طرح بحث «مصادیق ما یحکم به العقل»

طرح البحث الثانی الذی یصطحبه النوعان من التبیین، نوع موضوعی و النوع الآخر هو الإستبطان، و النوع الأخیر الذی له رسالة الإستبطان، یتضمن النقطتین الأصلیة و الفرعیة و معیار کل منهما یرجع إلی تأثیرهما فی إعادة البحث.

۱. الأصلیة: إمکان ورود العقل فی أرض الشارع یعنی هل للعقل أن یدخل و یدرک ما یجری فیها أم یوبخ لو تجاوز عنها خطوة؟

۲. الفرعیة: موضوعیة العقل و إدراکه و لیست القطع الذی هو من إحدی طرق العقل.

۳. الفرعیة: التمییز بین الحقیقة التی هی حاکمة فی أرض الشارع غیرها التی بنفسها لها واقعیة بامتیاز – و نحن هنا نسعی وراء أن نثبت و نبین کیفیة هذه الحقیقة من طریقها الصحیحة – و الحقیقة التی سائدة فی أرض الشارع ثم فی الخطوة التالیة نستخرج الحجیة بعد التطبیق و المقارنة.

المشهد الثانی

تبیین مقدمات البحث

القسم الأول: أحکام العقل

و فی بدء الأمر أشیر إلی أقسام الدلیل العقلی و تبیینها و یقال أن الدلیل العقلی وفقا لنقطة إرتکازه إلی المستقل و غیر المستقل. و المستقل هو الذی مرتکز علی نفسه و له نظام عقلی محض و فی المقابل هو غیر المستقل الذی ینتج بمشارکة الشرع. هذان المقسمان یشکّلان البابین من المباحث الأصولیة للشطر الثانی تحت عنوان الملازمات العقلیة.

ما هو بالغ الأهمية هنا أنه المرحوم المظفر توجه إلى تحدى الإشتراک و الإصطلاح. کما بنظرة يبحث بها عن المصطلحات و هـو مـر بنـا فـی تحريراتـه السـابقة، يـدرس المستقل العقلی لتمييزه فی عرف العلماء و منظر العلم و يقول أن المستقل العقلـی فـی عرف العلماء هو ما يقابل القضايا النظرية و ما هو يتواجد فی العلـم هـو القسـم الـذی مررنا به فی المقسم السالف.

القسم الثانی: تعريف العنوان

درس المرحوم المظفر مبينا الميزات و أوصاف المستقل العقلـی و غيـره و نتعـرف على التعنون الموجود للبحث فی خلاله.

ما يشار إليه کعملية للمرحوم المظفر فی هذا القسم هو ما قام به فی إعـادة تعريـف المستقل و غيره بتجزئـة المقـدمتين، المقدمـة الأولـی و الثانيـة و هـو أعـاد تعريفهمـا بالوصف و قام بتعريف مکانتهما.

الباب الأول: المستقلات العقلية

ما يعرف مصداقا للمستقلات العقليـه هـو القضـايا التـی تتحـدث عـن التحسـين و التقبيح العقليين.

ما هو الخطوة الأولى هی حصر مسالة البحث کما يحصر المسـألة فـی التحسـين و التقبيح العقليين.

و الخطوة الثانية هی تعريف منظومـة البحـث مقـررا أسـئلة يقـوم خلالهـا بتعريـف المنظومة و يشير غضونها إلى نقطة إختلاف الفکرة و المدرسة. المنظومة تتشکل من:

۱. إمکان الحسن و القبح الذاتيين

۲. إمکان إدراک العقل

۳. ملازمة حکم العقل و الشرع

٤. حجية ما يتحصل من الأحكام

ما هو يهدف إليه المقرر الإشارة و تبيين سجل أعمال المرحوم المظفر و نوع ما استفاد فى تبيين المسألة . لذاک لا تقريع فى ايجاز هذه الوجيزة.

الأركان و الأعمدة الأصلية للبحث التى مستفادة فى إعادة النظر إلى الموضوع متألفة من ستة أركان نسردها و نبيين نوع ما قام به المرحوم المظفر.

الركن الأول:

يتشكل من وجهتى النظر. الإجمالية و التفصيلية. و الأولى يقام بإعادة التعريف و تحليل عناصر المسألة ثم يشير إلى أجوبة كلتا المدرستين الفكريتين الأشاعرة و العدلية.

و الثانية و هى النظرة التفصيلية إلى نظرية المدرستين تصطحبها إعادة تعريف قضايا المشهورات. و المرحوم يرجع الطالبين إلى كتابه الشريف «المنطق».

الركن الثانى:

يتألف من خطوتين . الأولى تتبين فيها ألوان معانى الحسن و القبح كما يلى: من الكمال و النقص و الملائمة و المنافرة و المدح و الذم ثم الخطوة الثانية و يشار فيها إلى إختلاف المدرستين فى كل من تلک المعانى المذكورة و نحن نسمى هذه الخطوة بترسيم مشهد المسرحية الفكرية.

الركن الثالث:

متشكل عن الخطوتين، الأولى تبيين واقعية كل من المعانى و ما بعد هذا التبيين ذكر وجهة نظر الأشاعرة لكل منها.

الركن الرابع:

يدرس العقل العملی و النظری و عملية تحرير كلامه هی:

١. لمية طرح المسألة

٢. أصل المسالة

٣. الجواب عن المسألة الذی هو تقرير تفصيلی عن وجهة نظره و هنا لا يذكر رعاية للايجاز.

الركن الخامس:

الإشارة إلى العوامل و العناصر التی تساهم فی إدراک العقل العملی نوع الحسن و القبح الذين يتشكلان من مقدمة و ذكر خمسة أسباب له:

١. إدراک الكمال و النقص

٢. إدراک الملائمة والمنافرة

٣. الخلق الإنسانی

٤. الإنفعال النفسانی

٥. عادة الناس

المرحوم المظفر يرجع فی كل منهم إلى نقطة الإختلاف و يدرسهم فی كلتا المدرستين، الأشاعرة و العدلية.

الركن السادس:

و الركن الأخير فی إعادة التعريف موضوعيا للبحث و فيه يشار إلى معنى الحسن و القبح الذاتيين و نحن هنا نذكر بالإيجاز البحث المذكور تبيينا الأكثر هذه العملية، عملية التحرير:

تقرير دعوى المرحوم المظفر فى التبيين و دراسة المعنى الثالث للمعانى الثلاثة للحسن و القبح:

فيما سبق، ذكر المرحوم المظفر أن للحسن و القبح ثلاثة معان:

الأول: الكمال و النقص

الثانى: الملائمة و منافرة النفس (و طور بحثه ليصل الى ان منشا الحسن و القبح هو المصحلة و المفسدة)

الثالث: المدح و الذم

أردف القول و ادعى أن المعنى الثالث بدراسته نحصل على ثلاثة معان هى:

دراسة المعنى الثالث من المعانى الثلاثة للحسن و القبح:

١. النوع الأول:

- الخطوة الأولى: التعريف الإجمالى

الإسم: الحسن و القبح الذاتيان

المثال: العدل و الظلم – العلم و الجهل

الميزات الذاتية: علة لولادة الحسن و القبح

- تبيين جذوره:

هذا النوع يكون هكذا. مثلا لو صدق على فعل فاعل من المعانى المطروحة يحكم العقلاء بغض النظر عما حولها من العوامل المختلفة و علامة هذا الحكم المدح و ذم فاعله.

٢. النوع الثانى:

- الخطوة الأولى: التعريف الإجمالى

الإسم: الحسن و القبح العرضيان

المثال: التحقير أو تعظيم الصدق

الميزة الذاتية: علة لولادة الحسن و القبح

- الخطوة الثانية: تبيين عرضية هذا المعنى

الفعل لا يولد حسنا و قبحا إلا بمساهمة العوامل و العناوين الخارجية. لذک هذه علة ناقصة لولادة العناصر الأصلية هذا المشهد.

أما يتمايز هذا النوع من النوع السابق بأنه:

النوع السابق يتضمن أحد المعنين فی نفسه و لذاک هو سبب لما هو فی ذاته و لا تتدخل العوامل و العناوين الخارجية فی تشكيلهما و النوع الثانی هو أرضية للمعانی المذكورة و ما يتحصل له العلاقة مع العوامل و العناوين الخارجية.

۳. النوع الثالث:

- الخطوة الأولی: التعريف الإجمالی

الإسم: ما سماه المرحوم المظفر

المثال: فعل «الضرب» الذی نظرا للعوامل الخارجية له ثلاث حالات: الحسن و القبح و اللامعنی.

الميزة الذاتية: الأرضية الفارغة ولكنها هلی أهبة الإستعداد لولادة ما يتسرب فيها.

- الخطوة الثانية: تبيين تمايز هذا النوع من النوعين السابقين

هذا النوع و هو يشبه الأبكار و هو أرض فارغة وما يتولد فيها هو ثمرة علاقته مع العوامل الخارجية.

كما نعرف من فعل «الضرب» الذی هو آنا يصدق عليه العدل فهو حسن و آنا يصدق عليه الظلم فهو قبيح و آنا لا الحسن و القبيح مثل ضرب الأجسام.